المقاومة ، خاصة وقد كثر اللغط من المدعين ، وذوي الياقات المنشاة حول ضعف هذا الشعر الفني ، غير اني ارى عكس ذلك تماما ، أرى ان تفجر هذا الشعر بكل هذه القضايا الكبيرة هو الذي يمنحه شكله الخاص الفريد . كما ان الظروف القاسية التي يكتب فيها تحت سطوة التهديد والمصادرة هي التي تمنحه أسلوبه الخاص ذاك . فهو شعر يكتب في الهروب والتشريد والتهديد والمقاومة ، ومن ثم فانه يحمل سمات كل هذه الظروف .. يضطر الى ان يكون قصيرا وحادا كالشظايا . مراوغا كجندي حرب العصابات مقتحما مثله . وهو شعر مكتوب في السجن وفي زنزانات التوقيف وحجرات الاقامة الجبرية المحددة .. انها قصائد تحفر على الحوائط ، ومن ثم فهي قصائد صارخة احيانا زاعقة أحيانا ، واضحة كيوم مشمس في معظم الاحيان.. فشاعر الارض المحتلة لا يعرف رفاهية البناء الرمزي ولا يتخبط في متاهات الغموض ، انه يعرف هدفه ويعرف قارئه ، ويعرف عدوه بوضوح ساطع شديد . يعرف لغته وطريقه وجمهوره ..

لغتي صوت خرير الماء في نهر الزوابع
ومرايا الشمس والحنطة في ساحات حروب
ربما اخطات في التعبير أحيانا
ولكن كنت ـ لا اخجل ـ رائع
عندما استبدلت بالقاموس قلبي (٧٠)

انه يعرف لغته ودوره وجمهوره . لذلك يترك الشعر ينبت تلقائيا من القلب ليصيب القلب مباشرة . لذلك فانه يضطر ازاء عنف الظروف التي يعيشها الشاعر في الارض المحتلة ، الى التعبير عن بعض تجاربه دون ان تكمل او تنضج ، ليس نقصا في الخبرة ولا عجزا عن الفهم العميق لطبيعة التجربة ، ولكن رغبة في تلبية الحاجة الملحة الى الافضاء الذي لا يستطيع ان ينتظر حتى تتنسم التجربة رياح الخصب والاكتمال .. وهو لهذا لا يتورع عن ان يستخدم بعض الكلمات العامية عندما يجد انها أقدر من الالفاظ الفصحى المبذولة أمامه على التعبير.. يستخدمها دون ان يتعب نفسه في البحث عن معادلات فصيحة لها قد تكون غائبة عن متناول يده في تلك اللحظة . فليس لديه الوقت الكافي لتنميق الاشياء . وهو لهذا أيضا يستعمل أكثر من بحر عروضي واحد في بنائه الموسيقي للقصيدة الواحدة .. ولا يهمه كثيرا أن تتقارب نغمات البحور العروضية ولا أن تخدش صلابتها الاذن ، فالاذان التي تسمعه والتي يكتب من أجلها قد اعتادت كل يوم سماع أصوات الانفجارات والطلقات الغادرة . ومن ثم لن تستنكف الانصات الى بعض النغمات المتباينة .

لكنه برغم كل هذا شعر نفاذ وشديد الشفافية ، يخترق القلب مباشرة ببنائه البسيط الساحر الرائع ، وبابتعاده عن الاغراق في الرمز والطلسمية ، وبأسلوبه التعبيري الفريد الذي لا يوقعه أبدا في براثن الشعر الحماسي برغم ارتفاع نبرته أحيانا وتوهج تجربته دائما.. انه برغم هذا الارتفاع في النبرة والتوهج في التجربة يترك المجال دائما أمام فعالية القارىء للمشاركة في القصيدة من خلال اعتماده على الايماءات الحادة والموحية والفنية بالدلالات . وبسبب اهتمامه بالتركيز على الموروث الشعبي واقترابه الدائم من مكونات الرؤية الشعبية ، ولجوئه الى توصيل أكبر قدر من المعاني والايحاءات .. وربما لكل هذا فانه يعتمد كثيرا في بناء تجربته على الشكل الجديد الذي يعتمد على وحدة التفعيلة بدلا من وحدة البيت ، لانه شعر عن الحرية وينشد في الشكل التحرر .

القاهرة — **صبري حافظ**

(٧٠) من قصيدة محمود درويش « يوميات جرح فلسطيني » نشرت في « الآداب » يوليو ١٩٦٨ .

ماذا نقول للصغار ؟!

ماذا نقول للصغار عندما
تنفجر القنابل ؟
وتسقط المنازل ؟
حين تهب النار !!
ويزحف الدمار ؟

وتنبري عينان تسألان
عن سبب الدخان .. عن مسبّب الدخان
والسر في سكوتنا
والسر في ارتعاشنا .
نجيب ما نجيب ؟!
وليس في وجوهنا الا أسى عصيب .

ويجمد الكلام في شفاهنا
الحرب ..!! هل نحكي لهم عن « بعبع » مخيف ،
عن مارد عنيف
يعبث بالناس وبالاهواء
يبعثر الاجساد والدماء .

أوّاه يا صغارنا
لو اننا نستطيع
أن نجمّد الاشرار كالصقيع
نهذب البشر ،
ونخنق الكدر ،

أوّاه لو نقدر أن
نغيّر الايام
نبعدكم عن العذاب والشقاء والخطر
وننشر السلام في
الافئدة الصغار
في أعين من ذعرها تطير ،
لو كان في قدرتنا أن نجعل الحروب
حكاية تعجبكم
أو لعبة تمتعكم ،
لو اننا نستطيع
نبعدكم الى دنى ، آمنة فيحاء
كثيرة الحنان والعطاء
لو ان في امكاننا
نزرع في دروبكم
الحب والسلام والصفاء .

مي علوش